مجلة الأكاديمية الدولية للعلوم النفسية والتربوية والأرطفونيا

ISSN: 2773-3521

ص: 51-77

المقاربات النظرية والممارسات التطبيقية للمنهج الصفري في العملية التعليمية

Theoretical Approaches and Applied Practices of Null Curriculum in The Educational Process

د. مروان أحمد محمود حسن*

Marwan7assan@outlook.com/

كلية التربية، جامعة الإسكندرية / مصر.

تاريخ الإرسال:2024/06/01 تاريخ القبول: 2024/06/07 تاريخ النشر 2024/07/23

ملخص: يهدف هذا المقال إلى استكشاف المقاربات النظرية والممارسات التطبيقية للمنهج الصفري في العملية التعليمية، وتوضيح كيفية تأثير هذه الممارسات على تطوير التعلم لدى المتعلمين، وتعزيز جودة التعليم. يبدأ المقال بتعريف المنهج الصفري، وهو مجموعة الموضوعات والمفهومات التي يتم استبعادها من المنهج الرسمي لأسباب تتعلق بالوقت، أو بالاعتبارات الأيديولوجية، أو بمدى أهمية تلك المواضيع في السياق التعليمي التقليدي. ويتناول عدّة جوانب، منها:

–المقاربات النظرية: استعراض المفهوم، والأبعاد، والأهمية، ومنظورات إدراج المنهج الصفري في العملية التعليمية، ودورها في تعزيز مهارات التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين.

–الممارسات التطبيقية: تقديم كيفية تطبيق المنهج الصفري في البيئات التعليمية المختلفة. ودمج الموضوعات المهملة في الأنشطة الدراسية والمشروعات التعليمية، وكيفية استخدام الموارد البديلة لتغطية هذه الموضوعات.

* *المؤلف المرسل: د. مروان أحمد محمود حسن.*

–التحديات والحلول: يستعرض التحديات التي يواجهها المعلمون عند تبني المنهج الصفري، مثل محدودية الوقت، نقص الموارد، ومعارضة الإدارات التعليمية. كما يقترح البحث حلولاً عملية للتغلب على هذه التحديات.

–تأثير المنهج الصفري على المتعلمين: مناقشة التأثير الإيجابي لتطبيق المنهج الصفري على المتعلمين، بما في ذلك تعزيز الفضول العلمي، تطوير مهارات البحث المستقل، وزيادة الوعي بالموضوعات الشمولية والمهمة التي قد لا تكون مغطاة في المنهج الرسمي.

خلصت النتائج إلى ضرورة تبني المنهج الصفري؛ إذ يمكن أن يكون أداة فعالة لتعزيز جودة التعليم، وتحقيق توازن أكثر شمولية في المناهج الدراسية؛ مما يساهم في إعداد المتعلم لمواجهة تحديات الحياة الواقعية بمهارات ومعارف متنوعة. ويوصي بمزيد من الدراسات والتجارب العملية لتحديد أفضل الطرائق لتطبيق المنهج الصفري بشكل يحقق الفائدة القصوى للمتعلمين.

الكلمات المفتاحية: المنهج الصفري، المقاربات النظرية، الممارسات التطبيقية، العملية التعليمية.

Abstract: This article aims to explore the theoretical approaches and applied practices of null curriculum in the educational process, and explain how these practices affect the development of students' learning and enhance the quality of education. The article begins by defining null curriculum, which is the set of topics and concepts that are excluded from the official curriculum for reasons related to time, ideological considerations, or the extent of the importance of those topics in the traditional educational context. It addresses several aspects, including:

-Theoretical approaches: reviewing the concept, dimensions, importance, and perspectives of including null curriculum in the educational process, and its role in enhancing critical and creative thinking skills among learners.

-Applied practices: Presenting how to apply null curriculum in different educational environments. Integrating neglected topics into academic activities and educational projects, and how to use alternative resources to cover these topics.

-Challenges and solutions: It reviews the challenges that teachers face when adopting null curriculum, such as limited time, lack of resources,

and opposition from educational administrations. The research also suggests practical solutions to overcome these challenges.
-The impact of null curriculum on students: Discuss the positive impact of implementing null curriculum on students, including enhancing scientific curiosity, developing independent research skills, and increasing awareness of comprehensive and important topics that may not be covered in the formal curriculum.
-The results concluded that it is necessary to adopt null curriculum. It can be an effective tool to enhance the quality of education and achieve a more comprehensive balance in the curriculum. This contributes to preparing students to face real-life challenges with diverse skills and knowledge. It recommends further studies and practical experiments to determine the best ways to apply null curriculum in a way that achieves the maximum benefit for learners.
Keywords: Null Curriculum, Theoretical Approaches, Applied Practices, Educational Process.

مقدمة:

يعتبر التعليم من أهم المجالات التي تؤثر بشكلٍ كبير على تنمية المجتمع وتقدمه؛ حيث يؤدي دورًا هامًا في تشكيل عقول المتعلمين، ومستقبلهم. وهناك عديد من الطرائق والمناهج التي يتم اتباعها في عملية التعليم. من بين هذه الطرائق المنهج الرسمي. ويعتبر أساسيًا لتوجيه عملية التعلم، وتحديد المعارف والمهارات التي يجب على المتعلم اكتسابها، وآليات التقييم. ويتم تحديده وتنفيذه بواسطة الهيئات التعليمية الرسمية، مثل: وزارة التربية والتعليم، ويعتمد تصميمه على معايير وطنية أو دولية. كما يتضمن برامج دراسية محددة، وأساليب تدريس معيّنة تم اختيارها بعناية؛ لضمان توجيه المتعلمين بشكل صحيح نحو تحقيق أهداف التعلم المنشودة.

من ناحيةٍ أخرى، يعتبر المنهج غير الرسمي وسيلة أخرى لتعزيز وتعميق عملية التعلم. قد يكون مكملًا للمنهج الرسمي أو بديلًا عنه، ويمكن أن يشمل صورًا متنوعة من الأنشطة التعليمية، مثل: الندوات، والورش العمل، والدورات التدريبية؛ إلا أن هنالك بُعد آخر غالبًا ما يتم تجاهله في هذه المناهج، وهو ما يسمى بالمنهج الصفري.

يشتمل المنهج الصفري على الموضوعات، والفِكَر، ووجهات النظر المستبعدة، أو المهملة في المنهج الرسمي؛ أي يُمثّل الفجوات الموجودة داخل النظام التعليمي، والتي يُمكن أن تُكسِب المتعلمين فهمًا عميقًا لرسائل ضمنية منقولة إليهم، وتؤثّر على نظرتهم للعالم. تسلط هذه المقالة الضوء على المنهج الصفري، وأهميته، ومقارباته النظرية، وآليات ممارساته التطبيقية، وتقديم أمثلة على وجوده في العملية التعليمية.

1. الإطار المفاهيمي للمنهج الصفري

في مستهل الحديث، يجب النظر إلى الإطار المفاهيمي الذي يعتبر الأساس لفهم هذا المقال؛ حيث يتضمن عددًا من المفهومات الرئيسة التي تتفاعل معًا لبناء فهم أعمق للقارئ حول اصطلاح المنهج الصفري.

1.1 ماذا نعني بالمنهج الصفري؟

يشير مصطلح المنهج الصفري* إلى المعرفة، والخبرات التي لا يتم تدريسها بشكل صريح داخل البيئة الصفية، ولا تقدم للمتعلمين في المنهج الرسمي، في حين أن المنهج الرسمي يحدد المحتوى المقصود تدريسه. ويؤثر المنهج الصفري على فهم المتعلمين؛ إذ يشمل الفِكَر، ووجهات النظر، التي قد لا يعرفونها أبدًا؛ الأمر الذي يقوّض قدرتهم على استخدام مفهومات، ومهارات لا تشكل جزءًا من بنيتهم الفكرية، ويتمثّل هذا المنهج في موضوعات، أو وجهات نظر، أو تجارب معينة تم استبعادها أو إهمالها – بقصد أو بدون –؛ إذ يعمل على تشكيل معتقدات المتعلمين، وقيمهم، وافتراضاتهم، فهو أداة قد تعزز الصور النمطية، أو تديم عدم المساواة، وتُحِدّ من تعرض المتعلمين لفِكَر مختلفة (Mohanty et al, 2022, P35).

ثمّة عديد من الأسباب وراء حذف موضوعات معينة من المنهج الرسمي، ففي بعض الأحيان، يتم حذفها كونها غير مهمة للمتعلمين أو دون صلة بموضوعات المنهج، أو لأنها مثيرة للجدل، أو على قدرٍ من الحساسية للنظام السياسي الحالي للدولة، وفي أحيانٍ أخرى، يتم حذفها كونها صعبة الفهم للمرحلة العمريّة، أو تستغرق وقتًا طويلًا في التدريس من قِبل المعلمين (Wozolek, 2020, P52).

* تم تقديم مصطلح المنهج الصفري Null Curriculum من قِبل المربّي **جورج كاونتس** George S. Counts في ثلاثينيات القرن العشرين؛ إذ زعم **كاونتس** بوجود فجوة بين ما يتم تدريسه في المدارس، وما لا يتم تدريسه. ثم تم توسيع هذه الفكرة لاحقًا من قِبل معلمين وباحثين آخرين، بما في ذلك **ديفيت جرونولد** David A. Gruenewald، و**جيريت بيستا** Gert Biesta (Null, 2023, P131).

يؤثر المنهج الصفري على تعلم المتعلمين بشكلٍ كبير؛ إذ قد يُحذف موضوع معين من المنهج الرسمي؛ حتى لا يتعرض المتعلمين لفِكَر ووجهات نظر جديدة؛ مما يُحدّ من معرفتهم، وفهمهم للعالم من حولهم، وتجاربهم المتنوعة، وقد يعوق قدرتهم على التعامل مع العالم بشكل نقدي؛ الأمر الذي قد يدفعهم لتطوير رؤية عالمية مغايرة لمجتمعهم، وغير سوية، تمنعهم من إدراك مدى تعقيدات القضايا المجتمعية؛ مما يجعلهم غير مستعدين للانفتاح على العولمة، وعلى سبيل المثال: إذا لم يفهم المتعلمون الثقافات المختلفة، قد يطورون صورًا نمطية سلبية عن تلك الثقافات (Bohan et al, 2021, P98).

مما سبق عرضه، يمكننا أن نستخلص ما يتسم به المنهج الصفري فيما يأتي من نقاط:

-ينقل المنهج الصفري رسائل ضمنية للمتعلمين حول المعارف، والخبرات التي يتم التقليل من قيمتها، على سبيل المثال: استبعاد أحداث تاريخية، أو ثقافات، أو مساهمات معيّنة من فئات المجتمع.

-يعتبر المنهج الصفري انعكاسًا لديناميكيات القوة داخل المجتمع؛ إذ غالبًا ما يعكس ما يتم حذفه من المنهج الرسمي عن التفاوتات والتحيّزات المجتمعية.

-يؤثر المنهج الصفري على فهم المتعلمين للعالم ومكانهم فيه؛ إذ يشكّل قاعدة المعرفة لديهم، ويزودهم بمهارات التفكير النقدي، ويعرّضهم لوجهات نظر متباينة؛ من خلال تعريضهم لمزيد من الآراء المتنوعة.

2.1 المنهج الخفي مقابل المنهج الصفري

يعتبر كلٌ من المنهج: الخفي والصفري من الأساليب التعليمية التي تختلف في طبيعتهما، وكيفية تطبيقهما؛ برغم من أنهما يُصنّفان على أنهما منهجان غير مدرّسان رسميًّا. ويُعرّف المنهج الخفي، بأنه: "الطرائق غير الرسمية التي يتعلم من خلالها المتعلمون مفهومات وقيم دون أن يتم تدريسها بشكل صريح". بينما يُعرّف المنهج الصفري، بأنه: "الطرائق التعليمية التي يتم تجاهلها، ولا يتم تعلمها بشكل مباشر".

وهذا يعني أن المنهج الخفي منهجًا فعّالًا لتعليم المتعلمون بشكل شامل؛ إذ يمكن أن يتعلموا من خلال المحادثات مع أقرانهم، والمشاركة في الأنشطة اللاصفية وحتى من تجارب الحياة اليومية. **ومن هنا يمكن القول** بأن المنهج الخفي يسهم في تطوير المتعلمون ويساعدهم على تطوير مهاراتهم الشخصية والاجتماعية.

على الجانب الآخر، يعتبر المنهج الصفري منهجًا يتم تجاهله وعدم تدريسه بشكل صريح؛ مما يؤدي إلى نقص في تطوير المهارات الفكرية، والاجتماعية لدى المتعلمين، وبالتابعية سيؤثر سلبًا على تحصيلهم الدراسي. يمكن استيضاح ذلك من خلال الشكل رقم (01) الاتي:

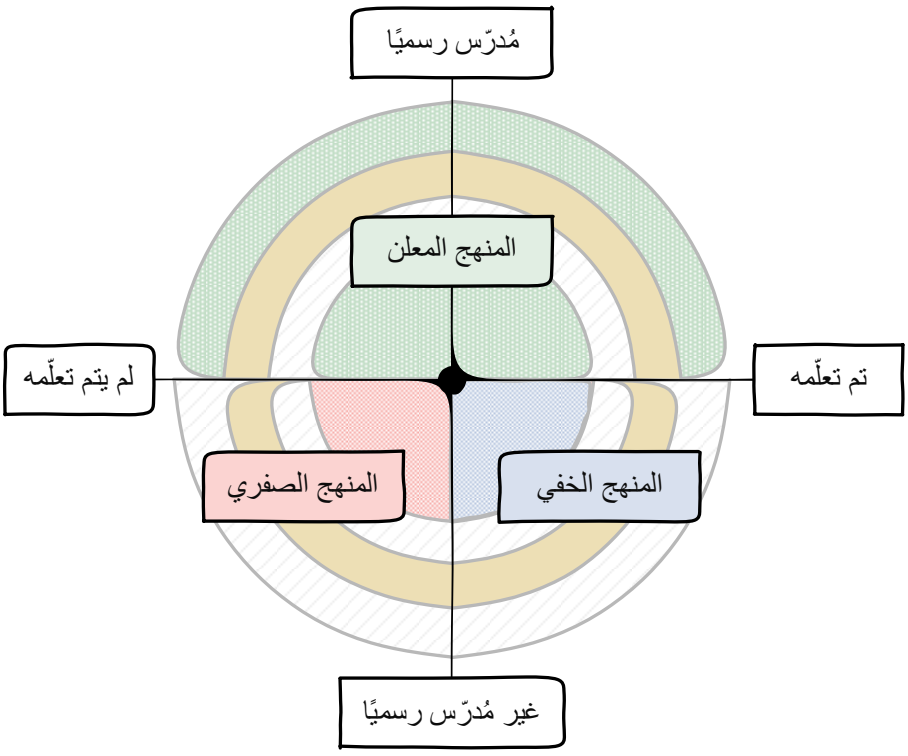

الشكل رقم (01) جوانب المنهج

المصدر: (إعداد الباحث)

2. أبعاد المنهج الصفري

تتعدد أبعاد مفهوم المنهج الصفري، وهي: العمليات الفكرية، والموضوعات الدراسية، والتأثير، حددها Levi وآخران (2022, P72) فيما يأتي:

1.2 العمليات الفكرية:

تشمل أنماط التفكير البصرية، والسمعية، والمجازية التي تعتبر غير لفظية، ومنطقية، ومن غير المرجح أن تنعكس هذه الأساليب من المعالجة المعرفية في

المنـاهج المدرسـية مقارنـةً بعمليـات، مثـل: التحليـل المنطقـي، أو الاسـتدلال الاسـتنتاجي. ولا يمكـن الفصـل بـين العمليـات الفكريـة والموضـوعات الدراسـية؛ ولتحقيق هذه العمليات لا بد أن تكون مرتبطة بالموضوعات الدراسية المقدمة عبر البرامج التعليمية.

2.2 الموضوعات الدراسية:

تتضمّن مجالات عدّة، مثل: الاقتصاد، والقانون، وعلميّ النفس والاجتماع، والتاريخ، والأنثروبولوجيا، والتي تندرج ضمن المنهج الصفري من المدارس الابتدائية وحتى الثانوية. ويمكن تمثيل هذا البُعد كتسلسل هرمي قاعدته استبعاد تخصصات بأكملها، وقمّته حذف أجزاء معينة من المعلومات، كما يمكن أن يتكوّن المحتوى الصفري من حقول فرعية داخل أحد التخصصات، على سبيل المثال: نادرًا ما تهتم مناهج التاريخ بتاريخ العلوم، أو الجغرافيا السياسية في مناهج الجغرافيا. أو أن يتضمن المحتوى الصفري حقائق معينة يتم استبعادها، مثل: استبعاد سقطات نظام سياسي حالي في مناهج التاريخ؛ للاستمرار في سياسة قمع ديمقراطية الشعوب، والسيطرة على الحياة الدستورية.

3.2 التأثير:

يتضمّن القيم، والاتجاهات التي تؤثر على وجدان المتعلم، ويصاحبها الوعي والإدراك الدائم، أحيانًا عند صياغة الأهداف التعليمية؛ يتم فصل التأثير عن الوظائف المعرفية، ويتم التركيز على تلك الوظائف كونها الأكثر أهمية، ومع ذلك قد يتم إضافة عديد من الموضوعات في المنهج الصفري؛ لِما لها من تأثير وجداني محتمل على المتعلمين؛ إذ أنها تخضع لرغبات القيادات السياسية للدولة، ومن ثم

ينفذها واضعي السياسات التعليمية والمناهج الدراسية؛ حيث توجّه اختيار المحتوى المقدم في المنهج.

3. المنظورات النظرية للمنهج الصفري:

تحدد مفهومات المنهج الصفريّ إمكانيات تضمين المحتوى في المناهج الرسمية من خلال منظورين، حددهما Zama & Endeley (2021) فيما يأتي:

1.3 المنظور الأول:

يهتم بتطوير العمليات الفكرية أكثر من تطوير محتوى الموضوعات، فما يتعلمه المتعلمين يعتبر أقل أهمية من كيفية تعلمهم. ويعتمد هذا المنظور على بناء المعرفة من خلال نقل المتعلم من تجربة إلى أخرى من خلال إستراتيجيات التدريس؛ إذ يعتمد المتعلم على الاستقصاء في التعلم، ويكون المحتوى المقدم ذا أهمية ثانوية.

وفي سياق النهج البنائي، تفترض النظرية البنائية بناء المتعلمين لفهمهم، ومعرفتهم الخاصة بالعالم من حولهم؛ من خلال الخبرات والتأمل في تجاربهم. **وفي رأينا،** قد ينتج عن غياب المنهج الصفري في الإطار البنائي فرصًا تعليميةً ضائعة، ولا تتاح للمتعلمين. نستعرض ذلك تفصيلًا فيما يلي من نقاط:

–تؤكد البنائية أن التعلم عملية نشطة وبنّاءة، ولكن عندما يتم استبعاد موضوعات، أو وجهات نظر معينة من المنهج الرسمي؛ يُحرم المتعلمون من فرص الانخراط في هذه المجالات، واستكشافها، وبناء المعرفة فيها؛ مما يعني أن تجارب التعلم النشط لديهم تقتصر على المحتوى المدرج في المنهج الرسمي فحسب.

–تشير البنائية إلى التعلم الجديد المبني على المعرفة السابقة، قد يؤثر غياب المنهج الصفري على تطوير البنية المعرفية السابقة لدى المتعلمين؛ من خلال ترك فجوات في معرفتهم الأساسية. على سبيل المثال: إذا تم استبعاد فترة حكم رئاسية معينة من مناهج التاريخ، فقد يطوّر المتعلم بناءً معرفيًا غير مكتمل، أو متحيّز لتوجّه معين.

–يؤكد روّاد البنائية – مثل: فيجوتسكي – على أهمية التفاعلات الاجتماعية في التعلم، وهنا يتسبب غياب المنهج الصفري في الحدّ من تنوع وجهات النظر الناتجة عن الموضوعات التي تتم مناقشتها داخل غرفة الصف الدراسي؛ مما يتسبب في تضاؤل ثراء التعلم الاجتماعي، ويفقد المتعلم الفرصة للمشاركة في حوار هادف حول تلك الموضوعات المستبعدة.

–تشجع البنائية المتعلمين على تطوير مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات، وقد يعيق المنهج الرسمي هذا التطور؛ من خلال عدم إتاحة الفرص لاستكشاف القضايا المثيرة للجدل أو المعقدة؛ مما قد يعيق قدرة المتعلم على التفكير النقدي وحل المشكلات بشكل إبداعي.

2.3 المنظور الثاني:

يهدف إلى مساعدة المتعلم على تعلم التفكير بشكل مستقل؛ لتنمية قدراته الإنسانية، وترجمتها إلى الموضوعات المقدمة إليه في مناهج، مثل: التاريخ، واللغة، والرياضيات، والعلوم،.. وغيرها. ويعطي الأولوية للمحتوى، ويرى هذا المنظور أن المنهج الصفري يتم إنشاؤه من خلال المنهج الضمني الكامن في المنهج الرسمي.

وفي رأينا يتم إنشاء المنهج الصفري من خلال ما يتناوله المنهج الرسمي ضمنيًا من محتوى عبر عدّة آليات وأساليب غير مباشرة، منها ما يلي:

التضمين والاستبعاد: يتضمن المنهج الرسمي موضوعات معينة ويستبعد الأخرى، وما يتم استبعاده يشكل جزءًا من المنهج الصفري؛ حيث يلاحظ المتعلم غياب هذه الموضوعات، ويعتبرها هو الأخر غير ذات أهمية.

الأولويات التعليمية: قد يركز المنهج الرسمي على بعض المواد – على سبيل المثال: العلوم والرياضيات – ويوليها الاهتمام والأهمية؛ بينما يقلل من قيمة المواد الأخرى ويتناولها بشكل أقل.

القيم الضمنية: المواقف والقيم التي يتعلمها المتعلمين بشكلٍ ضمني؛ من خلال أساليب تقديم المحتوى، والتنظيم المدرسي، والعلاقة بين المتعلمين والمعلمين.

النماذج السلوكية: تؤثر سلوكيات المعلمين، وإدارتهم للفصول الدراسية في تشكيل المنهج الصفري، على سبيل المثال: إذا كان المعلم لا يتقبّل الأسئلة والنقاشات؛ قد يتعلم المتعلمون ضمنيًا أن التفكير النقدي أو طرح الأسئلة أمور غير مرحب بها.

4. الممارسة التطبيقية للمنهج الصفري:

يؤثر الدور الذي يؤديه المعلمون، وواضعو السياسات التعليمية، والمناهج في تحديد جودة وفعالية التعليم على تطوير النظام التعليمي. **وفي سياق المنهج الصفري؛** نشير إلى الدور المأمول لأعضاء العملية التعليمية لمعالجة الفجوات وضمان تقديم تعليم شامل.

1.4 معالجة المنهج الصفري:

يعمل صانعي السياسات التعليمية على تطوير المناهج الدراسية؛ من خلال إعادة النظر في الأهداف، ومعايير اختيار المحتوى المقدم للمتعلمين، وتحديد التحيّزات داخل النظام التعليمي، واستبعاد الموضوعات، والقيم، والمهارات – عن قصد أو دون قصد – من المنهج الرسمي.

بالنظر للمنهج الصفري كمفهوم قد يدفع واضعي المناهج إلى التساؤل عن وجهات النظر أو الحقائق التي يجب استبعادها، فبدلًا من تسليط الضوء على القيم المتنازع عليها في الصورة النهائية من المنهج (المنهج المُدرّس / المُختبر)، يتم استبعاد القيم المرفوضة منذ البداية أثناء تخطيط المنهج (المنهج المخطط). وانطلاقًا من هنا حدد Pugach (2023, P150) طريقة منظمة لمعالجة المنهج الصفري، وتحديد ما تم استبعاده وفهم آثار ذلك، نعرضها فيما يلي:

تحديد المنهج الصفري: تمثل هذه الخطوة في إجراء مراجعة شاملة للمنهج الحالي لفهم محتواه وأهدافه التعليمية. يتضمن ذلك مقارنة أهداف المنهج بقائمة من الأهداف التعليمية المعتمدة، وتحديد الثغرات المحتملة. كما يمكن الاستعانة بآراء المعلمين، والمتعلمين، وأولياء الأمور، وخبراء التعليم من أجل جمع وتحليل رؤى حول ما قد يكون مفقودًا في المنهج الحالي.

تحليل التأثير: يتضمن تقدير الآثار الناتجة عن غياب موضوعات أو مهارات معينة في المنهج الدراسي على تعلم المتعلمين بالمقارنة مع معايير التعليم العالمية وأهداف تطوير شخصيتهم. كما يتطلب التفكير في تأثير تفضيل الأولويات الثقافية،

والاجتماعية، والسياسية على المحتوى التعليمي، وتأثير غياب الموضوعات التي من شأنها زيادة عدم المساواة أو عدم تمثيل مجموعة معينة.

معالجة الإغفالات: تتضمن تطوير إستراتيجيات لدمج المحتوى المفقود في المنهج الدراسي، ويمكن ذلك من خلال إضافة موضوعات جديدة، أو تبنّي مناهج متعددة التخصصات، أو تنظيم أنشطة خارج المنهج. إلى جانب تقديم التدريب المهني للمعلمين لمساعدتهم على التعامل بفعالية مع هذه الثغرات. كما يجب توفير الموارد اللازمة، مثل: الكتب، والأجهزة التكنولوجية، والموارد التدريبية لدعم إعادة تضمين الموضوعات المحذوفة سابقاً وضمان فاعلية هذه العملية.

التنفيذ والتقويم: يتطلب تقديم برامج تجريبية لاختبار تكامل المحتوى الجديد أو الأساليب الجديدة، بالإضافة إلى إنشاء آليات للحصول على تغذية راجعة مستمرة من المتعلمين، والمعلمين، وأصحاب المصلحة. يتضمن التقويم المستمر تقديم تقييمات دورية لقياس فعالية التغييرات، واتخاذ التعديلات الضرورية. يجب أن تكون العملية التقييمية شاملة، ويجب تتيح الدعم اللازم لضمان نجاح البرامج التجريبية وتحقيق الأهداف المحددة.

المراجعة المستمرة: يتضمن جعل مراجعة المنهج الصفري جزءًا منتظمًا من عملية تطوير المنهج؛ للاستجابة للتغيرات في المجتمع، والتكنولوجيا، والأبحاث التعليمية التي قد تكشف عن فجوات جديدة أو محتوى قديم. من خلال هذه العملية، يمكن تحديث المحتوى التعليمي وضمان تواكبه للتطورات الحديثة في مجال التعليم.

2.4 الممارسات التدريسية للمعلمين:

على عكس صانعي السياسات التعليمية والمناهج، ليس من صلاحيات المعلم تعديل المنهج الرسمي بإحلال موضوعات المحتوى الصفري محل الموضوعات الدراسية المقررة؛ لكن بإمكانه استخدام مفهوم المنهج الصفري بعدّة طرائق لتعزيز التدريس، ودعم تعلّم المتعلمين؛ من خلال ممارسات حددها King (2023, P96) فيما يلي:

-يجب على المعلمين الاعتراف بالموضوعات التي تم استبعادها من المنهج الرسمي ومناقشتها، ويمكنهم تشجيع المتعلمين على التفكير النقدي حول أسباب استبعاد هذه الموضوعات، والنظر في وجهات نظر قد تكون مفقودة؛ وذلك لتعزيز الفهم العميق والتحليل النقدي للمادة التي يتم تدريسها.

-تحفيز المتعلمين على استكشاف الموضوعات غير المدرجة في المنهج الرسمي؛ مما يسهم في تعزيز التعلم المستقبلي، وإثارة فضولهم. عندما يبحث المتعلمون بأنفسهم عن معلومات تتجاوز ما يتم تقديمه في الصف، يمكنهم توسيع آفاقهم، وتعزيز قدراتهم على التفكير النقدي والبحث. هذه الخبرة الخارجة عن الصف تساعدهم على تطوير مهارات البحث، والتحليل، والابتكار؛ مما يمكنهم من تحقيق نجاح أكبر في مجالات تعليمية ومهنية مختلفة في المستقبل.

-يمكن للمعلمين تحديد الفجوات الموجودة في المنهج الرسمي ومعالجتها؛ من خلال استخدام موارد تعليمية إضافية، وعقد مناقشات، وتقديم مشروعات تعليمية إضافية. يمكن لهذه الإستراتيجيات أن تساعد في تعزيز فهم المتعلمين ومعالجة الجوانب غير المغطاة بشكل كافٍ في المنهج الرسمي. ومن خلال إتاحة الفرص للمتعلمين

لاستكشاف الموضوعات بطرائق مختلفة، وتوسيع مداركهم، يمكن تعزيز التعلم وتحفيزهم للتفكير بشكل أكثر عمقًا وشمولًا.

–يحدد المعلمون القيود المفروضة على المنهج الرسمي، ويلتفتون لضمان تضمين وجهات نظر وأصوات متنوعة التي قد تكون غائبة عن المنهج، بهدف تحسين بيئة تعليمية متنوعة وشاملة.

–يربط المعلمون بين المنهج الرسمي والقضايا والأحداث الجارية في الحياة الحقيقية التي قد لا تغطيها المناهج الرسمية بشكل كامل، بهدف تعزيز فهم المتعلمين لأهمية دراستهم للعالم المحيط بهم.

3.4 موقف المدرسة وأولياء الأمور:

تدرك المدارس، والمعلمون التقدّميون أهمية المنهج الصفري، ويدمجونه عمدًا في ممارساتهم التعليمية، ويسعوا إلى معالجة الثغرات في المنهج الرسمي؛ من خلال إتاحة الفرص للمتعلمين لاستكشاف الموضوعات، ووجهات النظر، والخبرات. بينما تركّز المدارس التقليدية في المقام الأول على المناهج الرسمية، والالتزام بوثيقة المنهج؛ الأمر الذي يعطي الأولوية لتناقل المعارف، والمهارات المحددة، والموضحة في الوثيقة؛ مما يترك مجالًا محدودًا لإدراج المنهج الصفري (Yekple et al, 2023, P22).

يختلف موقف أولياء الأمور، والمدارس حول المنهج الصفري، فقد يعتقد بعض أولياء الأمور بأن المنهج الصفري لا يقل أهمية عن المنهج الرسمي، ويدافعون عن إدراجه في التعليم، وقد يشعرون أن غياب موضوعات معينة قد يحدّ من فهم المتعلمين للعالم؛ مما يعوق قدرتهم على التفكير، ومعالجة الفِكَر المختلفة.

وقد لا يكون البعض الأخر منهم على دراية بمفهوم المنهج الصفري أو أهميته، فيفترضون أن المدرسة تغطي جميع المعارف، والمهارات اللازمة في المنهج الرسمي (Mohammed et al, 2023, P13).

وفي رأينا أن هذه الآراء لا يمكن غض الطرف عنها؛ إذ تتباين آراء أولياء الأمور، والمدارس حول الفهم، والتأكيد على أهمية المنهج الصفري؛ حيث أنها تتأثر بمعتقداتهم الفردية، والفلسفات التعليمية، والسياقات المحلية.

كما يبدو أن تطبيق المنهج الصفري لا يزال محدودًا في بعض المدارس، وقد يتطلب التوعية والتثقيف لدى أولياء الأمور لزيادة الفهم والتأييد لهذا النهج التعليمي الحديث؛ من خلال تعزيز المناقشة والحوار المستمران بين المدارس وأولياء الأمور بشأن المنهج الصفري، وأهمية تبنّيه وتطويره لصالح تعليم أكثر شمولية واستجابة لاحتياجات المتعلمون في مجتمعاتنا المتنوعة.

4.4 تحديات الممارسة التطبيقية:

تكمن أهمية المنهج الصفري كونه أحد الأساليب التعليمية التي تركز على تجربة المتعلمين ومساعدتهم على بناء المعرفة والمهارات؛ من خلال التفاعل والتجربة العملية. ومع ذلك، يواجه هذا المنهج عديد من التحديات على الجانب التطبيقي، **وباستقراء ما سبق** من عناصر؛ يمكننا تحديد تلك التحديات فيما يأتي:

-يعاني المعلمون من ضيق الوقت المخصص لتغطية المنهج الرسمي؛ مما يجعل من الصعب إضافة موضوعات من المنهج الصفري؛ إذ أن التركيز على محتوى المنهج الرسمي يستغرق كثير من الوقت والجهد.

–قد تفتقر المدارس إلى الموارد للازمة لدعم استكشاف الموضوعات غير المغطاة في المنهج الرسمي، من حيث المواد التعليمية، أو التكنولوجيا، أو الدعم الإداري.

–قد يواجه المعلمون مقاومة من قِبل الإدارة أو الهيئات التعليمية عند محاولة تضمين موضوعات من المنهج الصفري. خاصةً إذا كانت تلك الموضوعات تعتبر مثيرة للجدل أو لا تتماشى مع السياسات المعتمدة.

–قد يكون لدى المعلمين نقص في المعارف أو الخبرة في الموضوعات التي تم استبعادها من المنهج الرسمي؛ مما يجعل من الصعب عليهم تدريسها بفعالية.

–يتعرض المعلمون لضغوط كبيرة أثناء تحضير المتعلمين للاختبارات الموحدة والتقييمات الرسمية التي تركز على المنهج الرسمي المعتمد؛ مما يقلل من الفرص المتاحة لاستكشاف موضوعات أخرى.

–تنوع خلفيات المتعلمون واحتياجاتهم يجعل من الصعب على المعلمين تخصيص الوقت لموضوعات إضافية غير مغطاة في المنهج الرسمي؛ إذ يجب عليهم تلبية احتياجات جميع المتعلمين بطرائق مختلفة ومتنوعة.

–قد يخشى المعلمون من التعرّض للانتقادات من قِبل أولياء الأمور أو المجتمع عند تناول موضوعات حساسة أو مثيرة للجدل غير موجودة في المنهج الرسمي.

ومن الضروري على المعلمين مواجهة تلك التحديات عند تبنّي المنهج الصفري؛ حيث يمكنهم اتّباع عدد من الحلول والإستراتيجيات التي من شأنها التغلب على هذه التحديات. نعرضها فيما يأتي:

إدارة الوقت بفعالية: يمكن للمعلمين تصميم خطة دراسية تُنظم الوقت بشكل يتيح لهم الفرص لتغطية الموضوعات الأساسية، وإدراج موضوعات من المنهج الصفري

بشكل موازٍ. كما يمكن دمجها في الأنشطة اليومية أو المشروعات الفصلية؛ لتعزيز التعلم الشامل.

توفير الموارد اللازمة: يتضمن البحث عن مصادر بديلة، على سبيل المثال: استخدام الإنترنت، والمصادر المفتوحة؛ للحصول على مواد تعليمية إضافية. ويمكن عقد تعاون مع المجتمع المحلي والمتخصصين لتوفير موارد ودعم إضافي.

التواصل مع الإدارة: يمكن تحقيق ذلك من خلال تهيئة قنوات الاتصال لتوضيح الأهمية التي تكمن في ادراج موضوعات من المنهج الصفري وكيف يؤثر ذلك إيجابيًا على تجربة التعلم للمتعلمين.

تطوير المعرفة والخبرة: على المعلمين حضور ورش عمل، ودورات تدريبية؛ لتعزيز مهاراتهم، وزيادة معرفتهم بالموضوعات غير المغطاة في المنهج الرسمي. يجب تشجيعهم أيضًا على الاستمرار في التعلم والبحث عن موضوعات جديدة ومفيدة يمكن تضمينها في مناهج التدريس.

دمج موضوعات من المنهج الصفري في الاختبارات: يجب تضمين بعض الموضوعات من المنهج الصفري في الاختبارات؛ وذلك لربط التعلم الشامل بعمليات التقييم الرسمية.

تلبية احتياجات المتعلمون المتنوعة: يجب تبنّي إستراتيجيات متنوعة لتلبية احتياجات جميع المتعلمون؛ بما في ذلك المستفادين من الموضوعات الإضافية. كما ينبغي تخصيص وقت للتفاعل الفردي مع المتعلمين المهتمين بالموضوعات التي لم تُغطَ في المنهج الرسمي.

التعامل مع الانتقادات: ينبغي تنظيم اجتماعات مع أولياء الأمور؛ لشرح أهداف، وإستراتيجيات تدريس الموضوعات غير المشمولة في المنهج الدراسي الرسمي، وأثرها الايجابي على تعلم المتعلمين.

5. تأثير المنهج الصفري على المتعلمين:

يعتبر المنهج الصفري من العوامل الأساسية في تحديد مسارات التعلم وتوجيه المتعلمين نحو معرفة معينة؛ حيث أنه منهج لا يُدرس. ومن خلال التركيز على ما يجب تدريسه يمكن أن يؤدي المنهج الصفري إلى تحديد ثقافة وقيم معينة دون أن يتم التركيز على جوانب أخرى من المعرفة. لهذا؛ يمكن القول بأن المنهج الصفري له تأثيرات إيجابية وسلبية على المتعلمين. نستعرض ذلك تفصيلًا في العناصر التالية.

1.5 التأثير الإيجابي للمنهج الصفري:

ثمّة تأثيرات إيجابية للمنهج الصفري تنعكس على المتعلمين. حددها Crews (2021, P201) فيما يلي:

-التركيز الأكبر من خلال المدرسة على الموضوعات الأساسية التي من المعتبر أنها ضرورية للمتعلمين يسهم في تعزيز الفهم العميق للمواد الأساسية، مثل: القراءة، والكتابة، والرياضيات، والعلوم.

-يمكن أن يتيح تجاهل بعض المواد الأقل أهمية وقتًا إضافيًا لممارسة الأنشطة الإبداعية والمشروعات التفاعلية التي تسهم في تنمية مهارات التفكيرين النقدي والإبداعي لدى المتعلمين.

–التركيز على عدد أقل من الموضوعات يمكن أن يتيح للمعلمين تقديم دروس أكثر تفصيلًا وعمقًا؛ مما يزيد من التفاعل الطلابي مع المواد المدروسة.

–قد يتم تصميم المناهج الدراسية لاستبعاد بعض الموضوعات بهدف توجيه المتعلمين نحو اكتساب مهارات معينة تعتبر ذات أهمية في المجتمع أو سوق العمل الحالي. على سبيل المثال: التركيز على التكنولوجيا والعلوم الحديثة؛ لإعداد المتعلمين بشكل أفضل لمستقبل يعتمد على هذه المجالات.

–يمكن أن يحفّز المنهج الصفري المتعلمين على استكشاف الموضوعات غير المضمونة في المناهج الدراسية بأنفسهم؛ مما يعزز استقلالية التعلم ومهارات البحث الذاتي.

–يمكن للمتعلمين استغلال فرصة وجود فجوات في المناهج الدراسية الرسمية لاستكشاف مصادر تعليمية خارجية، مثل: المكتبات، والإنترنت، والتعلم المجتمعي؛ مما يتيح تجربة تعليمية أكثر تنوعًا.

2.5 التأثير السلبي للمنهج الصفري:

بالرغم من التأثير الإيجابي للمنهج الصفري؛ إلا أنه يمكن أن يكون له بعض التأثيرات السلبية على المتعلمين، حددها Nyamida (2020, P62) فيما يلي:

–عدم إدراج تاريخ وثقافات محددة ضمن المناهج الدراسية الرسمية يمكن أن يؤدي إلى شعور المتعلمين المنحدرين من تلك الخلفيات بأن هويتهم وتجاربهم غير مهمة، وغير معترف بها؛ وهذا من شأنه أن يؤدي إلى شعورهم بالعزلة ونقص في تقدير الذات.

-يمكن أن يُحِدّ الإغفال عن موضوعات معينة من قدرة المتعلمين على فهم العالم من حولهم بشكل كامل. على سبيل المثال: عدم تدريس قضايا البيئة أو حقوق الإنسان قد يترك المتعلمين دون استعداد لمواجهة تحديات هذه القضايا في المستقبل.

-قد يؤدي تجاهل القضايا، مثل: التنوّع، والمساواة، والعدالة الاجتماعية إلى تعزيز القوالب النمطية السلبية، وتقليل التفاهم والتعاطف بين المتعلمين.

-تجاهل تدريس بعض المهارات الحياتية الهامة في المناهج الرسمية، مثل: المهارات المالية، والصحة النفسية؛ قد يؤدي إلى نقص استعداد المتعلمين لمواجهة تحديات الحياة، واتخاذ القرارات المناسبة.

-التركيز الزائد على المواد الأكاديمية التقليدية دون تضمين مواد، مثل: الفنون، والتربية البدنية، والموسيقى، والمسرح،.. وغيرها؛ يمكن أن يُحِدّ من فرص المتعلمين لتطوير مهارات التفكير الإبداعي، وينتج عن ذلك تعليم أحادي الجانب لا يعزز تنمية المتعلمين بشكل متكامل.

-إغفال بعض الموضوعات قد يؤثر على التحصيل الأكاديمي للمتعلمين بطرائق غير مباشرة، على سبيل المثال: يمكن أن تؤدي قلة الاهتمام بالمهارات الاجتماعية والعاطفية إلى مشكلات في السلوك والتركيز داخل الصف الدراسي.

-يمكن لتجاهل تعليم التكنولوجيا والمهارات الرقمية أن يترك المتعلمين دون استعداد لسوق العمل الحديث الذي يتطلّب مهارات تقنيّة عالية؛ مما يخلق فجوة بين ما يتم تعلّمه في المنهج الرسمي وما هو مطلوب في الحياة المهنية.

ومن جانبنا يمكننا القول بأن التأثيرات الإيجابية والسلبية للمنهج الصفري لا تمس المتعلمين فحسب؛ بل أفراد المجتمع أيضًا، ونعرض ذلك تفصيلًا فيما يلي:

من الناحية الإيجابية، قد يسهم المنهج الصفري في بناء مجتمع يتمتع بثقافة معرفية عالية، وبقدرات يمكن استغلالها لتحقيق التطور. **ومن الناحية السلبية،** قد يؤدي المنهج الصفري إلى انعدام الوعي بجوانب أخرى من المعرفة التي قد تكون مهمة في التطور الشامل للفرد والمجتمع.

على الجانب الإيجابي، يمكن للمنهج الصفري أن يسهم في تحقيق التقدم؛ وذلك من خلال تحديد الأولويات التعليمية، وتوجيه الجهود نحو المعرفة التي من شأنها أن تعزز التطور الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي. كما يمكن أن يسهم في تعزيز الثقافة والقيم المجتمعية التي تعزز التسامح، والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع.

من ناحية أخرى، يمكن أن يكون للمنهج الصفري تأثيرات سلبية جدية. قد يؤدي غياب المعرفة عن جوانب معينة من التعلم إلى ضياع فرص التطور والابتكار. وقد يؤدي أيضًا الانفصال عن بعض الموضوعات الهامة إلى تقويض القدرات الفكرية والمعرفية للفرد؛ مما يعيق قدرته على تكوين فهم شامل للعالم والمجتمع.

6. التوصيات والمقترحات:

من كافة العناصر السابق عرضها يمكننا الخلوص إلى بعض التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تسهم في تعزيز المنهج الصفري. نعرضها بشيء من التفصيل.

1.6 التوصيات:

-ضرورة دعم البحث التربوي والدراسات المتعلقة بالمنهج الصفري؛ لفهم أعمق لآثاره وإمكاناته في تحسين العملية التعليمية.

-تنظيم دورات تدريبية، وورش عمل للمعلمين حول كيفية تطبيق المنهج الصفري في الصفوف الدراسية.

-تطوير وتحديث المناهج الرسمية في مختلف المراحل الدراسية؛ لكيّ تتوافق مع مبادئ المنهج الصفري، بما يشمل توفير موارد تعليمية ملائمة.

-تحقيق الاستفادة القصوى من التكنولوجيا التعليمية؛ لتسهيل تطبيق المنهج الصفري. على سبيل المثال: استخدام المنصات التعليمية الرقمية، وأدوات التقييم الذاتي.

-ضرورة تبنّي نظام تقييم مستمر ومتنوع يمكن من خلاله قياس مدى تقدّم المتعلمين، ويراعي الفروق الفردية فيما بينهم؛ بدلًا من الاعتماد على الاختبارات التقليدية فحسب.

2.6 المقترحات:

-تضمين أنشطة تفاعلية تعتمد على التفكيرين النقدي والإبداعي، وحل المشكلات؛ لتشجيع المتعلمين على المشاركة الفعّالة والتعلم الذاتي.

-تشجيع التعاون والتواصل بين المعلمين وبعضهم البعض؛ لتبادل الخبرات، وأفضل الممارسات في تطبيق المنهج الصفري.

-زيادة تفاعل أولياء الأمور في العملية التعليمية، وتوعيتهم بالجوانب الإيجابية للمنهج الصفري، ودورهم في تقديم الدعم لأبنائهم.

-إتاحة موارد إضافية، مثل: الكتب والأدوات التعليمية التي تدعم تطبيق المنهج الصفري في الصفوف الدراسية.

-استخدام البيانات التعليمية لتحليل أداء المتعلمين، وتحديد نقاط القوة والضعف لديهم؛ مما يساعد في توجيه الجهود لتحسين تعلمهم.

-تخصيص وقت كافٍ في الجداول الدراسية لتطبيق أنشطة المنهج الصفري؛ بما يضمن عدم ضغط المناهج التقليدية.

-تطوير إستراتيجيات لتحفيز المتعلمين وتعزيز رغبتهم في التعلم من خلال المنهج الصفري. على سبيل المثال: المشروعات القائمة على الاهتمامات الشخصية للمتعلمين.

-إجراء تقييم دوري للمنهج الصفري وممارساته؛ لضمان تحقيق الأهداف التعليمية المرجوة، وإجراء التحسينات اللازمة.

خاتمة:

يعد المنهج الصفري جزءًا أساسيًا من التجربة التعليمية، والنظام التعليمي ككل؛ إذ يمكنه تشكيل معارف المتعلمين، ومهاراتهم، واتجاهاتهم بشكلٍ ملحوظ؛ لذا يجب أن يكون المعلمون، وصانعي المناهج، وواضعي السياسات التعليمية على دراية كاملة بالمنهج الصفري، وآثاره على تعليم المتعلمين، كما يجب التأكد من أن

جميع المتعلمين لديهم إمكانية الوصول إلى مناهج غنية، وشاملة تؤهلهم للنجاح في مجتمعهم.

قائمة المراجع:

1. Bohan, C., Pecore, J. & Allaire, F. (2021). *Curriculum and Teaching Dialogue*. Information Age Publishing.
2. Crews, G. (2021). *Impact of School Shootings on Classroom Culture, Curriculum, and Learning*. IGI Global.
3. King, C. (2023). Impress Them on Your Children. Wipf and Stock Publishers.
4. Levi, T., Akseer, S. & Vanner, C. (2022). *Teaching Peace and Conflict: The Multiple Roles of School Textbooks in Peacebuilding*. Springer International Publishing.
5. Mohammed, A., Femi, L., Aga, S., Jakinda, R. & Saaondo, M. (2023). *Regulating Policies in Education*. Cari Journals USA LLC.
6. Mohanty, P., Kundu, P., Mukherjee, A. & Pandey, P. (2022). Curriculum Perspective in Education. Ashok Yakkaldevi.
7. Null, W. (2023). *Curriculum: From Theory to Practice*. Rowman & Littlefield Publishers.
8. Nyamida, A. (2020). *Curriculum Change and Its Impact on the Teaching and Learning Process of History on Secondary School Students*. GRIN Verlag.
9. Pugach, M. (2023). *Because Teaching Matters: An Introduction to the Profession*. Wiley.
10. Wozolek, B. (2020). *Assemblages of Violence in Education: Everyday Trajectories of Oppression*. Taylor & Francis.

11. Yekple, S., Kumi, J., Kumah, M., Ademiluyi, L., Omito, O., Khoza, P. & Dlamini, N. (2023). *Strategies in Education and Practice*. Cari Journals USA LLC.
12. Zama, M. & Endeley, M. (2021). *Perspectives in Curriculum Studies*. Spears Book.